صلة العلم

« بين دمشق وجبل عامل »

تخيرت هـذا البحث دون غيره من المباحث التي تواردت على ذهني وتسابقت الى خاطري لامور : (الاول) لانه صحيفة من تاريخ قطر منسي عند كثير من النـاس . (الثاني) لبيان ان القطر العاملي على ضيق رقعته وقلة ساكنيه كان له في العلم شأن مذكور لم يكن لبلد مثله ساكناً ومكاناً[1] . (الثالث) لبيـان ان هذا القطر كان معروفاً باسمه ولاسيما في القرون الأخيرة التي أصبح فيها مثابة للعلم يرحل اليه من الآفاق[2] (الرابع) لبيان الصلة العلمية بين فريق من علمائه وعلماء دمشق وما لطائفة من أدبائه من المكانة في معاجم الرجال الدمشقية وغيرها . (الخامس) لبيـان ان دمشق كانت من ديار العلم التي يرحل اليهـا العامليون . (السادس) لبيان ان تشيع جبل عامل المعروف عند علماء دمشق لم يكن ليكدر على العامليين نمير التسامح العلمي يوم يلقون دلوهم في الدلاء . (السابع) لما في هذا البحث من التذكرة والاعتبار باعصار خلت وصل فيها العلم بين سلف هذين البلدين على ابناءهما يطبعون على غراره ويجددون عهد تلك الصلة مهذباً من

---

(١) يحده شمالاً نهر الاولى (الفراديس) قرب صيداء والفـاصل مجراه بين الشوف ومقاطعـة جزين ثم يمتد غرباً على ساحل البحر الرومي الى ان ينتهي بضواحي عكاء وما يحاذي شماليه وجنوبيه شرقاً فينتهي من الشمال بحدود البقاع داخلة فيـه مشغرة من أعمال البقاع ومن الجنوب شرقاً بالخيط ووادي الأردن وحاصبيا و يبلغ من الأميـال المربعة زهاء خمسمائة ميل وسكانه من المسلمين الشيعيين نحو الثمانين الفاً ونصف هذا العدد تقريباً من غيرهم . (٢) ان فيما أورد المحبي عن ابي المعالي الطالوي عن الشيخ داود الانطاكي « دعتني همة علية او علوية ان أصعد منه (بعض ثغور الشام) جبل عاملة فصعدته منصوباً على المدح وكنت عامله واخذت عن مشايخها ما اخذت وبحثت مع فضلائها فيما بحثت » — لدليلاً على ما كان لهذا القطر من الشهرة العلمية واما الذين أموه للافادة والاستفادة من مختلف الامصار فان المتسع يضيق بعد أسمائهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شوائب تلك الأعصار و يسيرون معاً بمواهبهم في سبيل التجدد والاخذ من القديم والحديث بما ينفع أمتهم والناس ·

وبعد فان اصاب هذا البحث الهدف الذي يرمي اليه مجمعنا الموقر فذلك ما أرجو والا فاني لا أضمن لنفسي حسن الاختيار ·

دمشق المدينة الفاضلة :

كانت دمشق وما زالت نقطة الاتصال بين الشرق والغرب وملتقى الامم في القديم والحديث وفي الجاهلية والاسلام وفاضلة مدائن الشرق · واول متنزهات الدنيا الاربع غوطة دمشق · ونهر الابلة · وشعب بوان · وصغد سمرقند كما قيل · وجنة الارض بلا خلاف كما قال ياقوت · وجنة المشرق ومطلع نوره المشرق كما وصفها ابن جبير ·

وكما خصّت يد الابداع هذا البلد بمطرد الأنهار وبواسق الاشجار ونوافح الازهار وخصب الاديم واعتلال النسيم وبكل مافضلت به المدائن والامصار من خواص الاقليم خصت بنيها بفطر سليمة وأذواق مستقيمة واخلاق فاضلة وأيد عاملة ووجوه صباح واكف مطبوعة على السماح فكانت ومابرحت وطن الغريب ومستروح نفس الاديب على حد ماوصفها ابو الطيب المتنبي وبينه وبينها مهامه فيح منتقلاً من وصف شعب بوان الى وصفها ووصف بنيها :

ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الشرد صبني الجفان
بلنجوجيٍّ ما رفعت لضيفٍ به النيران ندّيُّ الدخان
تحل به على قلب شجاعٍ وترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبنذجان

وكما قال فيها حافظ الاندلس الشيخ احمد المقري[1] من بعض مقاطيعه فيها :

قل لمن رام النوى عن وطن قولة ليس بها من حرج

(١) هبط دمشق سنة ١٠٣٩ وبعد مكثه فيها اربعين يوماً محترماً من جميع طبقاتها رحل الى مصر ثم عاد اليها وحصل له من الحرمة ماحصل في الاول وفارقها الى مصر وبينا هو على اهبة الرجوع اذ فاجأه حمامه سنة ١٠٤١ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فرج الهم بسكنى جلق ان في جلق باب الفرج

وكما قلت من قصيدة طويلة :

أربيبة القِدَم التي تاريخها قد سطرته قرائح وأنامل
العبقرية فيك وهي مفاخر مأثورة وفواضل وفضائل
ولأنتِ فاضلة المدائن كلها وعلاك لم يدرك مداه فاضل
النابغون بنوك نابه فضلهم هيهات ان يخفيه غرٌّ خاملُ
أيديهم لصنائع وصناعةٍ لم يثنها عن ذين شغلٌ شاغل

استأثرت هذه المدينة بعظمة التاريخ في كل ادوار التاريخ في عصوره الاولى يوم كانت عاصمة الاراميين والسريانيين ومطمح أبصار الفاتحين من الاشوريين والبابليين والفراعنة والاسرائيليين واليونان والرومان وفي الجاهلية والاسلام وهي بريفها الخصب ومائها العذب نجعة العرب باديهم وحاضرهم جاهليهم واسلاميهم يوم كانت عاصمة الملك العربي الغساني والعربي الاموي وعملاً كبيراً من أعمال العباسيين والاخشيديين والفاطميين والسلاجقة فعاصمة نور الدين وصلاح الدين وأعقابه من بني ايوب الاكراد فقاعدة نيابة سلاطين مصر الترك والجركس . فحاضرة الولاية التركية العثمانية . فعاصمة الدولة السورية في العصر الحاضر . وهي في العصور الاسلامية كلها منارة العلم ومحجته يرحل اليها رجاله وطلابه من الآفاق للافادة والاستفادة . بل هي البلد الاسلامي الاول الذي آخى بين علوم اليونان وفنون الاسلام ومشى بالمسلمين في طريق التجديد ووضع لهم أُس حضارة حفظت للامم حضارتهم الى يومنا هذا ولم يكن اتخاذ العباسيين بغداد عاصمة لخلافتهم وحرمان دمشق أبهة سلطانها الذي ازدهر بالخلافة الأموية زمناً طويلاً ولا قيام خلفاء منهم أشربوا في قلوبهم العلم — ليفت في عضد العلم بدمشق بل مشى البلدان بنهضتهما العلمية المباركة كتفاً لكتف يوزعان النور على كل بلد يخفق في ربوعه علم الاسلام حيث تشاد المدارس وتعمر المساجد فتعمر بالذكر وحلقات العلم وما كان ليغيض من دمشق معينه ولا ليقبض من بغداد منبسط ظله وقد اخذت تتفكك من وحدة الخلافة أجزاء وسرعان ان تكونت منها دول في المشرق والمغرب وقام الى جنب كل دولةٍ دولةٌ للعلم ولكل سلطانها وأبهته فخفقت بمعاهده في الشرق سمرقند

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و بخارى وهمذان واصفهان ونيسابور وخوارزم وجرجان وحلب ومصر الى مدائن كثيرة يطول بعدّها الكلام ·

وفي المغرب ازدهرت بمدارسه القيروان · وقرطبة · واشبيلية · وغرناطة · ومالقة والمرية · وطليطلة وغيرها من بلاد الاندلس والمغرب مما لا يصل اليه الاحصاء وبالجملة فانه لم يقم للمسلمين سلطان في قطر الا وللعلم الى جنبه سلطان حتى اذا أفرط علماؤهم في حب الإمرة وهاموا في طلب السلطة والأثرة وصرعت عقولهم خيلاء السلطان واعشت ابصارهم أشعة التيجان وانتقلوا بارتياد مظاهر الملك من القصد الى الاسراف و بسياسة الرعية من العدل الى الاعتساف ونسوا او تناسوا ما يحدق بهم من الخطر المترصد لهم من شعوب غريبة غلبوا بعضها على سلطانها وأخرى خافتهم على تيجانها وثالثة بصرت بالفرصة سانحة لغلبتهم على ديارهم فما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انكفأت عليهم الاعداء من هنا وهناك ومن المشرق والمغرب من التتر والروم · ومن حملات الصليبيين فانتقص ملكهم الشرقي الواسع من اطرافه غزاة التتر من الشرق · وانتزع سلطانهم الغربي المنبسط غزاة الافرنج من الغرب · فصب من ذلك البلاء على العلم والعلماء وواجهت بغداد امضه من جيش الزاحف هولاكو الذي لم يكن لأتيه حاجز وخليفتها العباسي مستغرق بسباته وابناؤها سادرون في سدف الخلافات المذهبية مشغولون بسفاسفها عن دفع الخطر المحدق على عكس الشام التي صدت التيار الصليبي وصمدت له بعزمات ثابتة صابرت محنه احقابا فتقلص ظل العلم من بغداد كما نضب معينه من قبل ومن بعد من بلاد الفرس والترك ومن المغرب والاندلس واستبقت دمشق ومصر على ذمائه وقد قيض الله لحراستها نور الدين وصلاح الدين · وعقبه من الايوبيين ومن خلفهم من الترك والجراكسة فحفظ ذانك البلدان الميراث العلمي الاسلامي بعد ان تقطعت اوصاله من البلاد الاسلامية المغلوبة على امرها ·

غصت دمشق بوفود بقية سيف الغالب من رجالات العلم الذين اغتصب بلادهم وجاس خلال ديارهم وخاصة بغداد وما اليها وقد حل فيها من ظلم هولاكو ما حل ببيت المقدس من نبوخذ نصر (بختنصر) · فكان لها مما حمله اولئك الوفود من علم وفن منهلٌ فياض لا يجف له معين ومورِدٌ صافٍ يستعذبه الواردون · وما برحت مع ما انتابها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من نوب الدهر وحل بها من صروف الايام حافظة موار يث العلم عاضة عليه بالنواجذ تحمل مصباحه المتوقد فياض النور على تتابع العصور الى يوم الناس هذا وهي في كل ماتعاقب عليها من الازمان مضطلعة بامره ومثابة لحملته وطلابه يؤمونها من البلد البعيد والقريب و يردون منهله الصافي وما كان جبل عامل بالمحلاء عنه وهو من دمشق على قيد مرحلتين او ثلاث . وقد كان عملاً من اعمالها الى عهد انفصال بيروت عنها واتخاذها سنة ١٣٠٦ حاضرة ولاية عثمانية .

بدء تاريخ الصلة العاملية العلمية بدمشق .

أما بدء تاريخ الصلة العلمية العاملية بدمشق فان اعوزتنا النصوص التاريخية على تحديد زمنه والعلم به فلا يفيد ذلك انه لم يكن متمتعاً بتلك الصلة في عصور تاريخها الحافل بالعلم والنسبة الى القطر العاملي لم تكن معروفة قديماً وان عرفه قدماء المؤرخين بجبال عاملة وجبل الجليل والخليل من عهد اليعقوبي الى اليوم .

وتاريخ الانتساب اليه لا يمتد الى اكثر من ستة قرون وشهرته لا تزيد عن اربعة قرون . فمن الجائز بل الراجح ان يكون انتساب العامليين قبل هذا التاريخ الى الشام مراداً بها القطر لا البلد وجبل عامل بعض كورها وليس هذا الاستعمال باقل شيوعاً من استعماله في البلد بل هو المتبادر في العرف عند الاطلاق والمعروف من تاريخ تلك الصلة يبتدئ من المائة الثامنة .

— العلماء العامليون المعروفون بصلتهم العلمية الدمشقية —

من علماء المائة الثامنة :

(١) الامام الشيخ ابو عبد الله شمس الدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني . علم من اعلام هذه المائة غزير الفضل جم العلم جيد التصانيف مبرز في علمي المعقول والمنقول وكتبه الفقهية اللباب المحض في التحقيق وبلاغة العبارة مع وجازة المبنى واصابة المعنى وعليها وعلى شروحها وحلها للامام الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني العاملي الجبعي المعول في الأخذ عنها وتدريسها الى يومنا هذا واكثرها مطبوع في ايران والهند . واليه يرجع الفضل في النهضة العلمية العاملية وبه يبتدئ تاريخها ولئن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقدم عصره بقليل من الزمن بعض العلماء العامليين[١] وكلهم من رجال هذه المائة فانه لم يعرف لهم اثر في تاريخ تلك النهضة لمباركة التي وضع أساسها صاحب الترجمة وترك لها من ولده ومريديه من رفع بنـاءها فكانت مدرسة جزين مسقط رأسه اول مدرسة شيدت في جبل عامل ثم عمرت على مثالها وطبعت على غرارها بآجال منقاربة مدارس جبع · ومشغرة · وميس · وعيناثا · والنبطية · وكرك نوح · وبعلبك بناء على إلحاق هذين البلدين بجبل عامل ·

ديار هجرته وبعض شيوخه :

منبت أسلته جزين من أعمال لبنان الجنوبي وبها نشأ في حجر ابيه وكان من العلماء وهاجر الى الحلة وهي اذذاك بلد العلم الذي اصبح يرحل اليه بعد نكبة بغداد · فقرأ على الشيخ فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف المطهر الحلي[٢] الذي انتهت اليه الرئاسة العلمية بعد وفاة ابيه العلامة[٣] وعلى فريق من علماء العراق منهم السيد تاج الدين ابو عبد الله محمد بن القاسم بن مُعَيَّة الحسني الدباجي النسابة المشهور[٤] ·

وفي دمشق أنفق معظم ايام حياته بين الافادة والاستفادة وهو اول عاملي عرف

---

(١) منهم الشيخ طمان بن احمد بن صالح العاملي المتوفى سنة ٧٢٨ والشيخ صالح بن مشرف العاملي والشيخ مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني والد صاحب الترجمة ·

(٢) من اعلام هذه المائة توفي سنة ٧٧١ · (٣) هو الشيخ العلامة جمال الدين ابو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي كان مغاصراً للامام ابن تيمية وبينهما مناظرات كتابية تخرج بالعلوم العقلية على الفيلسوف نصير الدين الطوسي و بالفقـه والاصولين على الامام المحقق الشيخ نجم الدين ابي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلي وانتهت اليه الرئاسة في المعقول والمنقول وله اكثر من سبعين كتاباً في فنون من العلم توفي سنة ٧٢٦ ·

(٤) من أعقاب اسماعيل الدباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن ابي طالب ، واول من تلقب بابن مُعيَّة من عقب اسماعيل ابو القـاسم علي بن الحسن ابن الحسن بن اسماعيل · و مُعيَّة هي أمه وهي بنت محمـد بن حارثة بن عامر بن مجمع بن المطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الاوس ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالرحلة الى هذا البلد في طلب العلم وفيه اجتمع بالعلامة قطب الدين محمد بن محمد البويهي الرازي[١] واستجازه فأجازه ·

واما شيوخ إجازته في مختلف العلوم فلا يحصون كثرة وحسبك ما ذكر في بعض إجازاته من انه يروي مصنفات السنة عن اربعين عالماً · دع ما يرويه من مصنفات الشيعة عن شيوخه الكثيرين · فكان للمتأخرين عنه الى يومنا هذا حلقة الاتصال بسلسلة الاجازة بروايات الفريقين ومصنفاتهم ·

وعظمت منزلته في دمشق واحله علماؤها وعظماؤها من نفوسهم محلاً كريماً لغزارة علمه وحسن خلطته وعشرته فكان مجلسه الحافل فيهم في اكثر الاحايين ولم ينقطعوا عنه كما نقل ولده الشيخ ابوطالب محمد في الزمن الطويل الذي طوى صحيفته بين ظهرانيهم الا مدة سبعة ايام صنف في اثنائها كتاب اللمعة الدمشقية في الفقه الامامي إجابة لالتماس صديقه الشيخ شمس الدين محمد الاوي[٢] من اصحاب علي بن المؤيد ملك خراسان وما والاها[٣] وكان بينهما مودة ومكاتبة على البعد الى العراق ثم الى الشام وطلب منه التوجه الى بلاده في مكاتبة اكثر فيها من التلطف والتعظيم فأبى واعتذر ·

نهاية امره السجن فالقتل :

ختم لهذا الامام ماختم لكثير من أئمة المسلمين من الشهادة وبقاء الذكر الجميل واصابه من حساده واعدائه الذين لايعرفون من الدين الا مظاهره ومن العلم الا رسومه وما يقربهم من ولاتهم وسلاطينهم زلفى ما أصاب غير واحد من عظماء الامة ومصلحيها من

---

(١) ولد ونشأ في ورامين من اعمال الري تخرج بالعلامة الحسن بن المطهر واجازه برواية جميع مصنفاته ومروياته وانتقل الى الشام بعد وفاة السلطان ابي سعيد واستشهاد الخواجه غياث الدين وغيره من الوزراء وجرت بينه وبين الشيخ تقي الدين بن السبكي مناظرات ذكرت في طبقات النحاة وله مصنفات وجلها في علمي المنطق والكلام توفي سنة ٧٦٦ بدمشق وصلي عليه في الحصن وحضر الصلاة عليه اكثر أعيان البلد ودفن في الصالحية ثم نقل الى مكان آخر · (٢) نسبة الى آو قرية في الري وهو من العلماء ترجمه في امل الامل ·

(٣) استولى على بلاده تيمورلنك توفي سنة ٧٩٥ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أمثاله ممن لا يقوم اعوجاجاً من سلطان بموعظة حسنة ولا يرد جماحاً من والٍ بحكمة بالغة بل يسيرون بالدين واحكامه على ما تمليه مشيئتها ولهم من وراء ذلك نفوذ الامر والافتئات على مصابيح الامة جزاءً وفاقا .

فاذا أرادوا نكاية بعالم يتخوفون ظهور امره ومزاحمته لهم على ما بايديهم من الولايات وغلبتهم على ما يتمتعون به من تافه حطام زائل وزخرف مجد باطل فليس لهم الا ان يلصقوا به تهمة المروق من الدين فالارجاف بذلك في العامة وهم اتباع كل ناعق فاتخاذ هياجهم وسيلة لدى السلاطير والولاة لحلول نقمتهم بالمرجف به تسكيناً لثائرة العامة ولشد ما غلب الجهل الفاضح على سلطان العلم الصحيح بمثل هذه الأضاليل والأباطيل .

انتقص جهلة الدين ممن يزعمون انهم من حملته ونزلوا به من معارج كرامته وسابق منزلته حيث ألصقوا به عداوته للعلم وهو والعلم توأمان لا يفترقان واقصوه عن اجتهاد العقل وهو والعقل اخوان لا يتنابذان وحسب هؤلاء المفتئتين على الدين والعلم والعقل بالقرآن حجيجاً وبالسنة خصيماً ان كانوا ممن يتدبرهما ويستنير بهديهما فهل يجدون فيهما غير ما يؤاخي بين الدين والعلم والعقل .

وما كان أسهل عليهم من تكفير من يخالفهم في الآراء او من لا يجرون معه في مضمار باسم الدين والدين منهم براء فأوذي من أمثالهم امام الحديث والتفسير والتاريخ محمد بن جرير الطبري[1] والامام ابوعبدالله المفيد محمد بن محمد الفقيه المتكلم الامامي[2] وابوالحسن الناشي علي بن وصيف البغدادي[3] والامام ابن تيمية[4] والقاضي الفيلسوف

(١) توفي سنة ٣١٦ ودفن ليلاً بداره لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً .

(٢) اوذي مراث بفئن الرصافة والكرخ في بغداد توفي سنة ٤١٣ .

(٣) الشاعر المتكلم قتل حرقاً بالنار كذا جاء عن ابن شهراشوب وسكت ابن خلكان عن خبر قتله في ترجمته .

(٤) انتهت حياته بسجن دمشق سنة ٧٢٨ بعد أعوام طوى صحائفها السود بسجون دمشق ومصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن رشد [١] وقتل شهاب الدين السهروردي بحلب [٢] ولسان الدين بن الخطيب اديب الاندلس قتل في سجنه بفاس [٣] واوذي سيف الدين ابو الحسن علي بن ابي علي الامدي بمصر [٤] والشيخ داود الحكيم الانطاكي [٥] فر من مصر الى مكة بتهمة الانحلال من العقيدة والمأموني [٦] أبعد عن حضرة الصاحب بن عباد [٧] الى كثير ين من اقطاب العلم والفلسفة وأئمة الدين ممن يطول الكلام بذكرهم وتضيق عن استيعابه المجلدات الضخمة .

لم تكن العصور التي تقدمت عصورهم باسلس مقادة وارضى عنانا واعذب مورداً وأصفى كأساً على من تقدمهم من الاعلام حتى في عصر ازدهار الاسلام في صدر الخلافة العباسية وعهد هبوب ريح العلم وانصراف المسلمين الى اقتباس فلسفة اليونان وحسبك بما كان لمسألة خلق القرآن من الهنات التي طمى سيلها وعم ويلها وأرهق في القول

(١) ابعده السلطان ابو يعقوب بن عبد المؤمن من مراكش الى الاندلس بعد ان آذاه وامر بابعاد كل من يتكلم بالعلوم الفلسفية ويحرق كتب الفلسفة ثم أعاده الى مراكش بعد ان جنح الى تعلم الفلسفة توفي سنة ٥٩٤ . (٢) ورد حلب في عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وناظر فقهاءها فكانت له الغلبة عليهم فاكثروا من التشنيع عليه وما كان جمع السلطان بينه وبين اكابر المدرسين والفقهاء والمتكلين ليسمع ما يجري بينهم من المناظرات التي انتهت بظهوره عليهم وحسن موقعه لديه — الا لتزيدهم إغراقاً في التشنيع عليه فكتابة المحاضر بتكفيره الى الملك صلاح الدين فأمره بقتله وذلك في سنة ٥٨٦

(٣) قتل خنقاً وبعد دفنه أخرجت رمته وألقي عليها الاحطاب وأضرمت فيها النيران وكان ذلك في سنة ٧٧٦ . (٤) توفي بدمشق سنة ٦٣١ . (٥) توفي بمكة سنة ١٠٠٨

(٦) هو ابو طالب عبد السلام بن الحسين من اولاد امير المؤمنين المأمون الخليفة العباسي فارق وطنه بغداد خاجة في نفسه ووردالري ومدح الصاحب بغرر القصائد فأكرم مثواه واحسن قراه فدبت اليه عقارب الحسدة من ندماء الصاحب وشعرائه ونقولواعليه الاقاويل وتخذوا من السعايات ضروباً حتى تكامل لهم اسقاط منزلته لديه ففارق حضرته وبوده ان لا يفارقها بعد ان استأذنه بالرحيل في قصيدة من بارع الشعر توفي سنة ٣٨٣ .

(٧) توفي سنة ٣٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باثباتها او نفيها غير واحد من أفاضل الامة .

وما كانت هذه الامة بما مُني به مصلحوها ببدع من الامم ولا عصورها بحدث من العصور (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وناله من اعدائه ما نالهم وفي قصص الانبياء عبرة للمعتبرين وما كان عهد سقراط حكيم اليونان وهو يتجرع السم الا كعهد لوثير وكوبرنيك وغاليليو وأضرابهم وهم يصابرون المحن من حشويي أقوامهم في سبيل عقيدة او اكتشاف علمي وهكذا الحال في كل زمان وفي هذه الايام فكل نابهٍ هدف لحامل وكل مجدد غرض لجامد تلك سنة الله في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

انتهت حياة صاحب الترجمة بسجنه مدة سنة بقلعة دمشق بوشاية تقي الدين الجبلي (او الخيامي) و بالقتل فالصلب فالرجم فالاحراق سنة ٧٨٦ بسعاية يوسف بن عيسى (او يحيى) في عهد سلطنة برقوق ونيابة بيدُمر الخوارزمي[1] .

عقب صاحب الترجمة : ان للشهيد خلفاً صالحاً اقتفى اثره في العلم والعمل فقد كان ولداه الشيخ رضي الدين ابوطالب محمد والشيخ ضياء الدين ابو القاسم علي واختهما أم الحسن فاطمة الملقبة بست المشايخ من أفاضل العلماء وولده المنصور الشيخ حسن من فضلاء المحققين وزوجه ام علي من فضليات نساء وقتها وكان يثني عليها و يأمر النساء بالرجوع اليها .

---

(١) اتفقت كلمة مترجمي الشهيد على ان قتله كان سنة ٧٨٦ في نيابة بيدمر وسلطنة برقوق فبيدمر على هذه الرواية كان حياً الى هذا العهد و يؤيدها قصيدة صاحب الترجمة التي بعث بها اليه وهو في سجن قلعة دمشق ومستهلها :

(يا أيها الملك المنصور بيدمرُ بكم خوارزم والاقطار تفتخرُ)

وما جاء في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى من ذكره له في عدة مواضع بعد سنة ٧٤٨ التي ورد في تاريخ ابن الوردي في حوادثها « ان الملك المظفر بن الناصر بن قلاوون (اعدم) اخاه الأشرف فيها وفتك بالامراء وقتل من اعيانهم نحو اربعين اميراً مثل بيدمر البدري نائب حلب » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وان بيتاً لا يستظل تحت سقفه من رجاله ونسائه الا من اخذ من العلم بنصيب لهو من اكرم البيوت فضلاً ونبلا .

وللمترجم له صلة نسب وصهر بمقدمي جزين المنتسبين الى الخزرج من الانصار [1] ولم تنقطع سلسلة العلم من أعقابه الى هذا اليوم [2] . « للبحث صلة »

سليمان ظاهر
عضو المجمع العلمي

(١) رأيت في تعليقة على كتاب مخطوط كتبت سنة ١١٦٥ ان الكاتب لها يقول إنه من ذرية الشريف ابي عبد الله الشهيد محمد بن شرف الدين مكي المطلبي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الجزيني .

(٢) ان أسرة شمس الدين العلمية العاملية يذكر رجالها انتسابهم اليه . وقد فارق منذ تسعين عاماً بقية منهم جزين البلد المسيحي اليوم ومسقط رأس الشهيد وكثيرين من علية العلماء العاملين واحدى مدارس العلم الكبرى في زمن نهضة جبل عامل العلمية أمس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net